

التماثل و التميز في الشعر العربي القديم.. أشعار الهذليين أنموذجاً:
صورة الحمار و الثور الوحشيين أنموذجاً..

بسم الله الرحمن الرحيم

خديم اعتاب العلم أيوب بن حكيم يقدم:

لائحة المتون و المصادر المعتمدة و المراجع المستأنس بها مرتبة حسب
اهميتها لهذا المبحث :

أ المتون و المصادر:

شرح أشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد السكري (٣)، تح: عبد الفتاح فراج
مراجعة: محمود شاكر، دار العروبة، القاهرة د.ت.
ديوان الهذليين (٣) تح: أحمد الزين، دار الكتب المصرية، القاهرة
١٩٤٥.

ديوان ليبد بن ربيعة العامري: تحقيق: إحسان عباس سلسلة التراث
العربي ط. الكويت ١٩٨٤.

ديوان النابغة الذبياني: المكتبة الثقافية د.ت.

ديوان أوس بن حجر تحقيق: محمد يوسف نجم، دار صادر ط ٢ بيروت
١٩٦٧.

ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي تحقيق: عزة حسن مديرية إحياء

التراث القديم دمشق ١٩٦٠.

شرح ديوان علقمة الفحل تحقيق: أحمد السيد صقر المطبعة المعمودية
ط ١ القاهرة ١٩٣٥ .

جمهرة أشعار العرب أبو زيد القرشي دار المسيرة ط ١ بيروت ١٩٧٨ .
طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحي تحقيق: محمود شاكر دار
المعارف د.ت.

القران الكريم برواية ورش عن نافع.

www.hothle.com/vb

موقع القبيلة على شبكة الانترنت

معجم البلدان ج ١٧ ياقوت الحموي دار الفكر ط ٣ بيروت ١٩٨٠ .

حياة الحيوان الكبرى: ج ١ كمال الدين الدميري د.ت.

المصايد و المطارد: أبو الفتح كشاجم دار المعرفة بغداد تحقيق: محمد
أسعد أطلس ١٩٦٤ .

ب-المراجع:

بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين: محمد خليل خلايلة عالم الكتب الحديث
ط ١ أربد ٢٠٠٤ .

الأسلوبية و التقاليد الشعرية دراسة في شعر الهذليين: أحمد بريري عين
للدراست ط ١ القاهرة ١٩٩٥ .

الصورة في الشعر العربي: علي البطل، دار الاندلس، ط ٣ بيروت
١٩٨٣ .

التماثل و التميز في الأدب الاندلسي: ج ١ سليم ريدان منشورات جامعة
منوبة تونس ٢٠٠١.

شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والاسلامي: أحمد كمال زكي، دار
الكتاب العربي القاهرة ١٩٦٩.

هذيل في جاهليتها و إسلامها: عبد الجواد الطيب، الدار العربية للكتاب،
تونس ١٩٨٢.

العمق الفكري في الشعر الجاهلي: علي بعروب، مطبعة الأندلس، ط ١
البيضاء ١٩٩٤.

الصورة و البناء في المراثي الجاهلية: سعيد الايوبي.
الرؤى المقتعة: كمال أبو ديب، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٨٦.
الاتباع والابتداع في الشعر الأموي: القصيدة المادحة أنموذجاً: محمد
امين المؤدب جامعة عبد الملك السعدي ط ١ - ٢٠٠٤ .

مصطلحات الشعراء الجاهليين و الاسلاميين: الشاهد البوشيخي دار القلم
ط ١-١٩٩٣.

الخطاب الشعري الجاهلي: حسن مسكين، المركز الثقافي ط ١ البيضاء
٢٠٠٥.

مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية: ناصر الدين الاسد دار
المعارف ط ٦ القاهرة ١٩٩٣.

النقد الأدبي عند العرب: أمجد طرابلسي ترجمة: ادريس بلمليح،
السمات الأسطورية في الشعر الجاهلي: محمد كنون الحسني، جامعة عبد
الملك السعدي ٢٠٠٧ .

الصورة في الخطاب البلاغي والنقدي، محمد الولي المركز الثقافي ط ١

بيروت ١٩٩٠

الموازنة بين الشعراء: زكي مبارك القاهرة ١٩٣٦.

النقد الثقافي: عبد الله محمد الغدامي.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي.

الخيال : مفهوماته ووظائفه: عاطف جوده نصر.

الخيال: شاكر عبد الحميد

ج-مصادر ضمن مراجع:

نهاية الأرب ضمن بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين.

جمهرة أنساب العرب ضمن هذيل في جاهليتها وإسلامها.

الحيوان ضمن السمات الاسطورية في الشعر الجاهلي.

شعر الأعشى و امرئ القيس ضمن الصورة في الشعر العربي.

اللحظة الأولى: ما حول النص...

" فلزمت هذيلاً أتعلم كلامها واخذ طبعها.. وكانت أفصح العرب..."

الإمام الشافعي

"إذا أردتم الشعر فعليكم بأصحاب النخيل من يثرب وأصحاب الشعب من هذيل"

عبد الملك بن مروان

"أشعر الناس حيا هذيل"

حسان بن ثابت

توطئة:

ارتبطت معيشة العرب القدامى بمجموعة حيوانات أحبوا كالفرس

والابل، وحيوانات خافوا منها كالأفعى والنمر، وأخرى احترموها كالنحل والوعل، وأخرى قدسوها كالظليم ووحش الثور والحمار منه، لذا تواشجت أحاسيسهم وهذه الكائنات واستثمروا علائقهم المتباينة معها خلقا فنيا يفيض خصبا وجدوى، فنذهب مع رأي الشاهد البوشيخي حين يقول "إن حظ غير الانسان جمادا وحيوانا في علاقته بالإنسان في الشعر القديم أكبر من حظ الانسان في علاقته بالإنسان" واخترت حيوانين يذكران في شعر ما قلب البعثة ويتساوقان وذكر الناقة، وهما الثور الوحشي والمهابة، والحمار الوحشي وأتته.

أما قبيلة هذيل فلها "بصمة واضحة في تاريخ الأدب العربي، ولغة فصيحة كانت موضع اهتمام علماء اللغة وكبار الأئمة"، وأشعار الهذليين هي "الديوان الوحيد الذي وصلنا من دواوين العرب" وجمعها أبو سعيد السكري المتوفى سنة ٢٧٥ هـ، "وهذا الجمع يمكننا من أخذ فكرة واضحة عن التحقيق العلمي للشعر القديم خلال القرن الثالث الهجري" وأشعر هذيل أبو ذؤيب غير مدافع، وقد ألفت عنه وعن قبيلته الكثير من الدراسات، أهمها دراسات أحمد كمال زكي ومحمد بريري وعاطف كنعان و عبد الجواد الطيب ومحمد خليل خلايلة وأسماء عبد المطلب.

اشارات ومفاهيم:

الموازنة بين كل أشعار ما قبل البعثة وكل أشعار الاسلاميين، لا تعطي الباحث الحق لإبداء رأي مطلق الموثوقية لعل كثيرة منها ما يتعلق بشعر ما قبل البعثة كضياع جزء عظيم منه ، وصعوبة الوقوف على معجمه وسياقاته، ومنها ما يتصل بالشعر الاسلامي كصعوبة اللغة، وطمس كثير من أشعار الأمويين بخاصة طمسا أم تهميشا ،لذا كان على العارض أن يوازن بين نماذج منتقاة، لتوصله الى مآمن نسبي من الاستخلاصات فاختار جانبا فنيا ووجوديا من شعر اسلامي أفصح قبيلة عربية، ووازنه بشعر ما قبل البعثة في وصف الثور و الحمار الوحشيين، ليحاول بذلك الإجابة على إشكال العرض: هل تفرد الهذليون الإسلاميون بخصائص فنية عن شعر ما قبل البعثة وشعر الخضرمة في وصف هذين الحيوانين ؟ وهل كان التفرد من داخل المتعارف عليه أم قطيعة عنه ؟ وما هي مظاهر التماثل والتميز عندهم؟ وماهي الاستخلاصات التي يمكن الوصول اليها من عملية الموازنة ؟ ولا بأس أن نشير الى بعض النقاط قبل الولوج الى العرض:

الإشارة الاولى: العرض ينطلق من النصوص ووضعت المراجع للإستئناس لعلة سنورها في أوانها.

الإشارة الثانية: العرض انتقى قصص الثور و الحمار الوحشيين بصرامة، فلم ينتق شعرا لهما الا اذا انتظم في سرديّة نمطية، فعدد الأبيات الواصفة وانتظامها في إطار قصصي علتان حاسمتان في عملية الانتقاء، فتم تجاهل الكثير من الأشعار التي لا تخضع لهذا القانون.

الإشارة الثالثة: هذا العرض يعنى بالتقاليد الشعرية بوصفها فنا وفعلي وجود و حياة، لذا ضرب العارض صفحا عما هو تاريخي، سياسي، طبيعي، اجتماعي، فالعرض لا يبحث في المسببات بقدر ما يبحث عن مظاهرها، لذا فهذه الخارجيات لا تتساق وطرح العرض، مع ذلك تمثلها العارض ووضعها امام ناظره.

الإشارة الرابعة: الكثير من الأفكار التي تشكل استطرادا نافعا ومهما، تم تفريعها في الهوامش، لذا الرجاء أخذ الهوامش بعين الاهتمام.

وحتى ندخل المبحث بمساحة أمان ما أحوجنا الى تمثل بعض المفاهيم التي أسست له:

مفهوم التماثل :ويعنى به العرض يوظفه توظيفا للمشارك لخلق ما هو خاص، وتمثيل التجربة الفردية بما هو متواضع على عمق دلالاته، فيكون التأثير ابلغ لخروج العبارة عن طريق المشارك، وهذه العبارة تعطي فردية الفن عمق الموروث الجماعي .

مفهوم التميز : وهو في العرض يعني المروق عن العادة الأسلوبية الفنية و الوجدية، أو الانفصال عنها من داخلها، وهذا المصطلح أشبه بمصطلح البدعة عند الأصوليين دون استهجان هؤلاء له.

مفهوم الظاهرة :ويعنى به العرض بوصفه تراكم الخصائص تماثلا و

تميزاً، ليشكل حصيلة اختيار يعطي للتماثل معنى، وللتميز حدوداً، نتيجة
فاعليات ملحة.

مفهوم الصورة :ليس يقصد بالصورة التشبيه و الكناية والمجاز كما
نفهم ذلك مع البلاغة المعيارية القديمة، أو الصورة من جانبها
الميثولوجي وإنما " الصورة الشعرية هي أثر الشاعر الذي يصف
المرئيات وصفا يجعل قارئ شعره ما يدري أيقراً قصيدة مسطورة أم
يشاهد منظراً من مناظر الوجود" أو كما يرى احد الباحثين أن الصورة
في النقد الحديث أن أضحت تنحو نحو ما هو رمزي، وتضرب صفحا عما
روجه القدامى تأثراً بالمنطق الأرسطي الصارم.

اللحظة الثانية: في النص...

"الصورة الشعرية هي أثر الشاعر الذي يصف المرئيات وصفا يجعل
قارئ شعره ما يدري أيقراً قصيدة مسطورة، أم يشاهد منظراً من مناظر
الوجود..."

زكي مبارك

التمائل في وصف الثور والحمار الوحشيين بين شعر ما قبل البعثة و
شعر الهذليين:

١-صورة الثور الوحشي والمهاة:

١-١ ربط الثور بالناقة:

يقال إن أول من اصطاد بقرة وحشية من العرب، هو ربيعة بن نزار،
وليس من المستبعد ان يكون أول من قال شعرا في البقر الوحشي :
أنت ضالة في رمل حومل فابتنت..... بهامتها كي لا تحاذر ذيبا
واستمر العرب منذ ذلك الوقت في وصف الثور والمهاة وقصة صيدهما،
بثوابت أهمها أن هذا الكائن لا يذكر في شعر ما قبل البعثة إلا في معرض
تشبيه الناقة به دون استثناء فيما أعلم، يقول النابغة الذبياني (ناقة ثور
وحشي):

كأنها خاضب اظلافه لهق قهد الإهاب تربته الزنانير

ويقول لبيد(ناقة ثور وحشي):

أذلك أم نزر المراتع فادر أحس قنيصا بالبراعيم خاتلا

ويقول امرؤ القيس(ناقة ثور وحشي وحمار):

كأني ورحلي فوق أحقب قارح بشرية أو طاو بعرنان موجس

ويقول علقمة الفحل(ناقة بقرة وحشية) :

وتصبح على عب السرى وكأنها مولعة تخشى القنيص شبوب

ويقول بشر بن أبي خازم الأسدي(ناقة ثور وحشي):

كأني وأقتادي على حمشة الشوى بخرجة أو طاو بعسفان موجس

ويقول لبيد أيضا (ناقة ثور وحشي) :

كأخنس ناشط جادت عليه ببرقة واحف احدى الليالي

ويقول النابغة أيضا (ناقة ثور وحشي) :

كأني وقد زال النهار بنا يوم الجليل على مستانس وحد

ويقول المتلمس الضبي (ناقة ثور وحشي):

وأدماء من حر الهجان كأنها بحر الصريم نابئ متوجس

ويقول أوس بن حجر(ناقة ثور وحشي) :

وكان اقتادي رميت بها بعد الكلال ملمعا شيبا

والأمثلة كثيرة جدا ، وفيها جميعا لا يذكر الثور الوحشي إلا بوصفه تابعا

للناقة إلزاما .

وفي موازنة بين أشعار ما قبل البعثة وأشعار الهذليين، نرى هذه الأخيرة

حافظت على هذا الربط وإن بقلّة ، في مثل قول أمية بن أبي عائذ الهذلي:

كأني ورحلي اذا رعتها على جمزى جازئ بالرمال

١ - ٢ الخصائص الجسدية :

أما من حيث الخصائص فنرى الهذليين شابهوا شعر ما قبل البعثة في

وصف ثور الوحش، حيث وسموه جسديا بالبياض، وفي ذلك يقول أبو

ذؤيب الهذلي:

في ربرب يلقي حور مدامعها كأنهن بجنبي حربة البرد

ويقول امية بن أبي عائذ الهذلي:

هجان السراة ترى لونه كقبطية الصون بعد الصقال

ويقول قيس بن عيزارة الهذلي:

كتب البياض لها وبورك لونها فعيونها حتى الحواجب سود

ونرى نفس الخصيصة الجسدية عند الشعراء القدامى في قول المثلث

الضبي:

يجول بذى الأرضى كأن سراته كبرق نزع والسحابة ترجس

ويقول النابغة :

سراته ما خلا لباته لهق وفي القوائم مثل الوشم بالقار

١-٣ الخصائص النفسية:

أما من حيث الخصائص النفسية فتتمثل أساسا في التوجس والقلق والوحدة، إذ نرى شعر ما قبل البعثة متفقا مع شعر بني هذيل على هذه الخصائص، يقول النابغة: "يوم الجليل على مستأنس وحد" والمثلث: "بحر الصريم نابئ نتوجس" وبشر: "أو طاو بعسفان موجس" وامروء القيس: "أو طاو بعرنان موجس" ونفس هذه الخصائص تتكرر في شعر هذيل وذلك في مثل قول أبي ذؤيب:

والدهر لا يبقى على حدثانه شبيب أفزته الكلاب مروع

وقوله أيضا:

ولا شبوب من الثيران أفرده عن كوره كثرة الإغراء والطرد
وقول أمية الهذلي:

أحم المدامع يبني الكناس في دمت الترب ينثال هال
وقول الداخل بن حرام(مهة):
وهادية توجس كل غيب اذا سامت لها نفس نشيج

٢-صورة الحمار الوحشي وأتته:

٢-١ الربط بين الناقة والحمار الوحشي:

ربط شعراء ما قبل البعثة نفس الربط بين حمار الوحش والناقة اذ لا
يذكر هذا الكائن البري، الا بعد ان تزرع قبله أوصاف الناقة، فيكون هو
مؤكدًا لصفاتها مثل السرعة والاكتناز والقوة.. يقول امرؤ القيس (ناقة
حمار وحشي):

أذاك أم جون يطارد أتنا حملن فأربى حملهن ضروص
ويقول أوس بن حجر (ناقة حمار وحشي):
كأني كسوت الرجل أحقب قاربًا له بجنوب الشيطان مساوف
ويقول الأعشى (ناقة حمار وحشي):

وكان القتود والعجلة والوقر لما تلاحق السواق
فوق مستبقل أضربه الضيف ورر الفحول والتنهاق
ويقول بشر الأسدي (ناقة حمار وحشي):
حرف مذكرة كأن قتودها بعد الكلال على شئيم أحقب

جون أضر بلمع يعلو به حذب الاكام وكل قاع مجذب
ويقول امرؤ القيس أيضا (ناقة حمار وحشي):
بأدماء عرجوج كأن قتوها على أبلق الكشحين ليس بمغرب

يغرد بالأسحار كل سدفة تغرد مياح الندامى المطرب
ويقول الشماخ بن ضرار (ناقة حمار وحشي):
كأن قتودي فوق جأب مطرد من الحقب لاحته الجداد الغوارز
ويقول لبيد (ناقة حمار وحشي):

كأن قتودي فوق جأب مطرد يفز نحوفا بالبراعيم حائلا
وتتكرر الانجازات الشعرية لدى شعراء ما قبل البعثة والخضرمة بهذا
النمط والتشابه، اذ تجعل الناقة مركزا ر و الحمار الوحشي فرعا يوضح
صفاتها أو نرى نفس الربط في شعر بني هذيل، اذ يقول أمية بن أبي
عائد مثلا:

أشبه راحلتي ما ترى جوادا ليسمع فيها مقالي
وفي القصيدة نفسها يستمر أمية الهذلي في وصف الحمار الوحشي
بمساحة شعرية تبلغ ٤٧ بيتا، في أطول ربط بين الناقة والحمار الوحشي
على طول و عرض أشعار العرب فيما وقفت عليه من المتون
والاشارات، ويقول الشاعر نفسه في قصيدة اخرى (ناقة حمار وحشي):
كقنبلة القرع او ما شابتهت مراحا جوافل في النفر عونا
ويقول أسامة بن الحارث الهذلي (ناقة حمار وحشي):
كأصحم فرد على عانة يقاتل عن طرثيه الذبابا

٢-٢ الخصيصة الزمنية:

تبدو صورة هذا الحيوان الوحشي مكررة زمنيا بين الشعر القديم وأشعار الهذليين، حيث " يظهر في النهار غالبا...وصورة الحمار تتلازم مع نهاية الربيع وبداية الصيف وحرارته " ،اذ يقول أوس مثلا:

إذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف
ويقول امرؤ القيس:

فأصدرها تعلقو النجاد عشية أقب كمقلاء الوليد شخيص
كما نرى نفس الخصيصة الزمنية في أشعار الهذليين في مثل قول لأبي خراش الهذلي:

فلما رأين الشمس صارت كأنها فويق البضيع في الشعاع خميل
وقول أبي ذؤيب:

فوردن والعيوق مقعد رابئ ال ضرباء فوق النجم لا يتتلع
ويقص علينا أمية الهذلي نفس الخصائص في قوله:
مشيفا يراقب شمس النهار حتى تقلع فيء الظلال

٢-٣ الخصائص النفسية:

٢-٣-١ خصيصة القلق والتحوط:

تتماثل صورة الحمار الوحشي مع شعر ما قبل البعثة في خصيصة القلق النفسي كذلك، اذ أن الحمار دائم الحذر والتيقظ، يقول أبو ذؤيب:

يرمي الغيوب بعينيه ومطرفه مغض كما كسف المستأخذ الرمد

ويقول صخر الغي:

فباتا يأملان مياه بدر وخافا راميا عنه فحاما

بل إنه من شدة خوفه، يتوهم شجر " الغار " صيادا يترصده ذلك في قول

أبي خراش الهذلي:

يظل على البرز اليفاع كأنه من الغار والخوف المحم وبيل

ونرى عند شعراء ما قبل البعثة والخضرمة نفس الخصيصة في قول

امرئ القيس مثلاً :

فشربن أنفاسا وهن خوائف وترعد منهن الكلى والفريص

وقول عمرو بن قميئة كذلك:

مشيحا هل يرى شبعا قريبا ويوفي دونها العلم العليا

٢-٣-٢ خصيصة الغيرة والتسلط:

الحمار الوحشي من أكثر الحيوانات الوحشية غيرة على قطيعه" والحمار

الوحشي متسلط شديد الغيرة لذلك يحمي عانته الدهر كله" ،يقول امرؤ

القيس تأكيدا لهذا:

أذلك أم جون يطارد أتنا حملن فأربى حملهن ضروص

ويقول بشر الأسدي كذلك:

أظ بهن يعدوهن حتى تبين حولهن من الوساق

ويقول أوس بن حجر:

يقلب قيدودا كأن سراتها.....

يقلب حقباء العجيزة سمحجا....

وهذه الخصيصة تتكرر عند شعراء هذيل في قول أبي ذؤيب:

أكل الجميم وطاوعته سمحج....

إذا أرن عليها طاردا نزقت....

وقول أبي خراش:

أبن عقاق ثم يرمحن ظلمه إباء وفيه صولة وذميل

وهناك خصائص مشتركة بين الشعر القديم وأشعار الهذليين كطول
قصص الحمار الوحشي وأتته وتساقق أحداثها مع نهاية الربيع ومجيئ
الصيف...

التميز في وصف الثور والحمار الوحشيين عند الهذليين :

١-الظواهر الفنية :

١-١ التشكيل التكراري: لأزمة الدهر

تتكرر لأزمة الدهر عند الهذليين ١٩ مرة وتصاغ بصيغ متقاربة: والدهر
لا يبقى على حدثانه أرى الدهر لا يبقى على حدثانه، والله لا يبقى على
حدثانه، لا يبقى على الحدثان دهر، أرى الأيام لا تبقى..، فعيني لا
يبقى..، لن يعجز الأيام..، فهذه تتكون من قسم و أداة نفي و وفعل،
وبالرغم ان الهذليين تميزوا عن غيرهم بهذه الصيغ الفريدة، إلا أنهم من
خلالها امنوا كما امننت جميع الشعراء أن الدهر هو الذي يعدم الكائنات
جميعها ،يقول عز وجل حكاية عن الجاهليين "وما يهلكنا إلا الدهر" ،بل
نراهم جميعا يعمدون الى تكرار خصيصة مميزة وهي أن هذين الحيوانين

هما اللذان يبحثان عن الموت والهلاك، وهذه فكرة جماعية امنت بها العرب وظلت متجذرة في نفوسهم، بالرغم أن القرآن الكريم وضح المسألة في قوله عز وجل " فإذا جاء أحدكم الموت "، وقوله أيضا " ويأتيه الموت من كل مكان "، فدخلنا الغرو ونحن نتحدث عن شعراء لحقهم الإسلام، بل وعاش بعضهم سلطان بني أمية، ورأي أن النمط الفني غلب الشعراء الهذليين رغم تميزهم عنه في بعض جزئياته.

٢-١ ظاهرة القص الحيواني وارتباطه بالرثاء:

ماثل الشعراء الهذليون شعر ما قبل البعثة في أسلوب السرد، إلا أنهم تميزوا عنه في كونهم نظموا سردياتهم الحيوانية في معرض الرثاء غالبا، فارتبطت قصص حمار الوحش والثور منه بمجال الرثاء بخاصة، وذلك من أجل كونه تجربة الفقد والألم وإشراك المحيط فيها، كما تتميز سرديات الحمار والثور الوحشيين عند بني هذيل بالتداخل، حيث تحوي القصيدة الواحدة مجموعة قصص حيوانية أخرى، فيتصل وجود هذين الحيوانين عندهم بوجود الحمام والظليم والصقر والوعل، ويمكن إجماع ما نرومه بشكل أوضح عن طريق هذين الجدولين: (اعتمدت في الإحصاء

على شرح السكري

و ديوان الهذليين معا):

عدد قصص الحيوانين الوحشيين ١٧

عدد السرديات الحيوانية في المتن ٤٠

عدد قصصهما في معرض الرثاء ١٢

عدد السرديات الحيوانية في الرثاء ٢٥

عدد قصصهما في باقي الأغراض ٥ ٠

عدد السرديات في باقي الأغراض ٥ ١

عدد الأبيات في معرض الرثاء ٢ ١٣

عدد الأبيات في معرض الرثاء ٥ ١٩

عدد الأبيات في باقي الأغراض ٠ ٧

عدد الأبيات في باقي الأغراض ٢ ١٠

١-٣ التميز اللفظي:

انتقيت لفظة واحدة لتدل على هذا التميز، وهي لفظة "أرطاة" وجمعها "أرطى"، وهو شجر ينبت في الرمل يفرع إليه الثور أو المهاة فزعا من المطر والصائد، فالملاحظ من عملية الموازنة، أن النماذج التي وقفنا عندها من الشعر القديم تذكر فيها هذه اللفظة بصيغة المفرد "أرطاة"، ولا بأس باستحضار قول النابغة مثلاً: "وبات ضيفا لأرطاة" وقول الأعشى: "وبات في دف أرطاة" ولبيد: "فبات الى أرطاة" والحارث البرجمي: "فبات الى أرطاة" وبشر الأسدي: "فبات في حقف أرطاة" والأعشى كذلك: "تضيف أرطاة" وتذكر هذه اللفظة بكثافة في الأشعار التي تصف الثور الوحشي وقصته..

حتى اذا بحثنا في أشعار المتن الهذلي في إخراجيه، ألفيناه يذكر هذه اللفظة مرة واحدة في جملة قصص الثور والمهاة، ووردت بصيغة الجمع لا بصيغة المفرد وذلك في قول أبي ذؤيب: "ويعوذ بالأرطى اذا ماشفه.."

فاستعمال هذه اللفظة بندرة وبصيغة تختلف عن عما عودنا عليه الشعر
القديم له خصوصية فنية واضحة.

١-٤ البناء:

ويتمثل أساسا في كون الهذليين اهلوا أنفسهم من الربط الملزم بين عالم
الناقة وعالم الحيوانين البريين كما راينا مع شعر ما قبل البعثة
والخضرمة، فأصبح معرض تشبيه الناقة بهما متجاوزا عند الهذليين،
وأضحى معرضا آخر، وهو معرض الموت والفقد، إذ أصبحت عماد القصة
عكس الشعر القديم الذي ألزم شعراءه الربط بين هذه الكائنات إلزاما،
فأصبحت مخدمين لا خادمين للسردية، يقول أبو ذؤيب مخلصا شعره من
هذا التقليد (حمار وحشي):

والدهر لا يبقى على حدثانه جون السراة له جدائد أربع

ويقول أبو خراش الهذلي (حمار وحشي):

أرى الدهر لا يبقى على حدثانه أقـ[ب تجاربه جدائد حول

ويقول أسامة بن الحارث الهذلي (حمار وحشي):

فو الله لا يبقى على حدثانه طريد بأوطان العلاية فارد

ويقول أبو ذؤيب (ثور وحشي):

والدهر لا يبقى على حدثانه شبيب أفزته الكلاب مروع

ويقول أيضا (ثور وحشي):

ولا شبوب من الثيران أفرده عن كوره كثرة الإغراء والطرد

ويقول قيس بن عيزارة الهذلي (بقر وحشي):

والدهر لا يبقى على حدثانه بقر بناصفة الجواء ركود

ويقول ساعدة بن جؤية (ثور وحشي):

ولا أسفع الخدين طاو كأنه اذا ما غدا في الصبح غضب مهند
فتميز الهذليون بالمروق عن هذا التقييد اللازم.

٢- الظواهر الفنية الوجودية:

١-٢ عدم إلزامية ربط الحمار الوحشي بحلائله من الآن، كما رأينا في
شعر ما قبل البعثة، اذ لا يذكر حمار الوحش إلا مع قطيعه من الإناث مما
جعل بعض الباحثين العرب يجزمون بكون الحمار الوحشي لا يذكر
بمفرده في شعر العرب، اذ يذكر حسب زعمهم دوما وجدائده دون
استثناء، ولما ينتبهوا إلى أن الشعر الهذلي في مواضع غير قليلة يذكر
فيه حمار الوحش منفردا، وذلك في قول أبي خراش الهذلي مثل في حمار
منفردا:

ولا يبقى على الحدثان عالج بكل فلاة ظاهرة يرود
غدا يرتاد في حجرات غيث فصادف نوؤه حتف مريد
غدا يرتاد بين يدي قنيص تدافعه سفنجة عنود
فألجمها فأرسلها عليه وولى وهو منتفد بعيد
ويقول صخر الغي الهذلي في حمارين ذكرين دون قطيع أيضا:
ولا علجان ينتابان روضا نضيرا نبتة عما تؤاما
كلا العلجين أصعر صيعري تخال نسيل متنيه الثغاما
فباتا يأملان مياه بدر وخافا راميا عنه فحاما
٢-٢ موت الثور دون استثناء واحد، اذ لا يذكر الثور أو المهاة في
الشعر الهذلي إلا ليموت، يقول أبو ذؤيب راثيا:
فكبا كما يكبو فنيق تارز بالخبت إلا انه هو أضلع

ويقول بن عيزارة راثيا أيضا:

يوما أراد الملك نفاذا ونفاذا بعد السلام يريد

ويقول الداخل بن حرام واصفا رحلة صيد:

فراغت فالتمست بها حشاها فخر كأنه خوط مريج

ويقول ساعدة معاتبا ذاته:

فكأن حتفا بمقدار ادركها طول النهار وليل غير منصرم

فخالف الهذليون الشعر القديم في كون الثور ينجو اذا كان معرض ذكره

غير الرثاء على حد ملاحظة الجاحظ، بل أفنى الهذليون ثورهم في كل

قصصهم.

٢-٣ غياب قصة المهابة وولدها الفرقد، فقد تحدث الباحثون العرب عن

حضور المهابة وصغيرها وقصة صيده الأليمة في شعر ما قبل البعثة

وأفاضوا في ذلك، لكن الهذليين وبالرغم أنهم "قاموا برصد عميق للكون

الحيواني المحيط بهم"

وبالرغم من أنهم من أنهم من أكثر القبائل وصفا للثور والمهابة، إلا أنهم

—ويا للعجب— لم يأتوا بسرديّة المهابة والفرقد المحزنة، والتفسير الأقرب

الى الذهن هو أن الهذليين نظموا في هذه القصة إلا انها ضاعت كما

ضاع أكثر من ثلثي شعر هذه القبيلة، وإن سلمنا مبدئيا بهذا، فإن الأمر

لن يعدو ان يكون تماثلا وليس تميزا، لكن التفسير الأسلم في نظري

ينحو منحى رمزيا وميثولوجيا تواشج والجانب الفني فكانا انعكاسين

أمينين ليس هذا معرض الاستطراد فيه.

٢-٤ الرامي والزامية وجوده في جميع قصص الثور والحمار الوحشيين،

اذ يحضر هذا الصائد المخاتل بوصفه واسطة للدهر في عملية الإفناء

وذلك في قول أبي كبير الهذلي مثلاً:

فراين قلة فارس يعدو به متفلق النسيبين نهد المحزم

أو قول أمية بن أبي عائذ الهذلي:

تراح يده لمحشورة خواطي القداح عجاف النصال

أو قول قيس بن عيزارة الهذلي:

حتى أشب لها أغبير نابل يغري ضواري خلفها ويصيد

واللافت للنظر أن الرامي لا يخيب له رمي في أشعار الهذليين، إذ خول

له الدهر سلطة المحو عكس شعر ما قبل البعثة الذي تفلت فيه الكائنات

من الرامي إذا كان المعرض غير معرض الرثاء كما لاحظ الجاحظ.

اللحظة الثالثة: ما بعد النص...

"لن نتمكن من تجاوز القدامى، فهم لم يتركوا لنا إلا قسطا من المجد
وهو أن نتقفى أثرهم..."

لافونتين

"الماضي أشبه بالحاضر من الماء بالماء..."

ابن خلدون

استخلاصات :

بعد هذه الرحلة بين شعر ما قبل البعثة وشعر الخضرمة من جهة والشعر
الهدلي من جهة ثانية، ما أحوجنا الى الإناخة وتقييم النتاج، فكانت هناك
استخلاصات من عملية الموازنة نوردتها مرتبة هكذا:

أ-الوقوف على النصوص هو الذي يعطي الحكم قريبا من الصواب وقد
رأينا أن بعض الدراسات جانبت الصواب في بعض أحكامها نتيجة
إهمالها هذا الجانب فيما بدا لنا(علي البطل وتبعه في حكمه محمد عبد
الفتاح احمد ومصطفى الشوري ومحمد كنون الحسني).

ب-امتلك الهذليون خصائص فنية تميزوا بها عن شعر الخضرمة وما قبل البعثة لكن تميزهم كان من الداخل، وهذه الخصائص كانت ميزات جزئية لم تعتمد للمغايرة مع البناء العام للقصيدة العربية (كما فعل الصعاليك مثلا).

ج-الأساليب المتشابهة و الاستخدام المشترك الذي استعمله الهذليون لإجلاء سطوة الدهر في قصائد الرثاء "يوضح مدى ما بلغته قصيدة الرثاء من نضج واتحاد في المفاتيح" ٩٢.

د-أضحت قصص الحيوانات الوحشيين في شعر الرثاء عند الهذليين تصورا ممعنا في رسم طقوسية فنية وجودية رصدوا بها همومهم وذ هولهم من فجاءات الفقد ولسان حالهم يقول: "لقد أفسد الموت الحياة" على حد قول كعب الغنوي.

هـ -استغل الهذليون تواجد صورة الثور و الحمار الوحشيين عند شعراء ما قبل البعثة في معرض الوصف الصرف، ليحولوه الى مجال الرثاء بخاصة ليرتبط الكون الحيواني عندهم بالألم والموت فتحول انشاقهم هذا الى نمط في حد ذاته.

و-التقاليد الشعرية التي سار عليها الهذليون وماتلوا فيها شعر ما قبل البعثة تدل على تنميط عام امننت بجدوى وجوده الشعراء فتطرح هذه النمطية أسئلة نفتح بها العرض على مصراعيه: قصص الحيوانات الوحشيين تطرح اشكال ما هو الأصل؟ هل تحول وصفهما من الجانب الوجودي الى الفني منه؟ أم أن التنميط الفني تحول بفعل تراكم جزئياته الى فعل وجودي؟ هل التنميط فن؟ أم هو بخلفيات ماورائية عقدية، وبتراكمات اللاوعي الجمعي والأنماط العليا التي قد تكون العرب خضعت

لها بخشوع دون ان تدري أنها تردد ترنيمات قدسية، أقرب ما تكون
ابتهالات دينية وطقوسا وثنية، منها الى قصائد.

حق الجواب اطناب كثير، ولعل أبحاث الأنثروبولوجيا والميثولوجيا
ودراسات المنهج الأسطوري، تجيب عن هذه التساؤلات.

انتهى المبحث فإن يكن قد أفلح فيما انتوى الإفلاح فيه فقد اكتسب لنفسه
مبرر وجود، والحمد لله على التوفيق والشكر للنفس الأمانة بالكسل على
صبرها معي وطردها للتقاعس الذي هو من شيمها.. وإن يكن المبحث قد
أخفق فلعل محاولة أخرى لا تخفق..

الهوامش و الإحالات :

- ١- الاتباع و الابتداع في الشعر الاموي القصيدة المادحة أنموذجا: محمد
أمين المؤدب ص: ٥٤ - ٥٨ بتصرف.
- ٢- ليس ترويجا لقيمة الاختيار يقول الشافعي مثالا: فلزمت
هذيل...وكانت أفصح العرب. معجم البلدان ج ١٧ ص ٢٨٤ للمزيد
زوروا موقع القبيلة.
- ٣- يرى أحمد كمال زكي "أن أغلب قصائد هذيل لا يعرف لها تاريخ
محدد.." شعر الهذليين ص ١٤٧، لذا انتقيت ما عرف تاريخه.
- ٤- المفهوم مأخوذ من ظاهرة التماثل والتميز في الأدب الأندلسي، سليم
ريدان ج ١ ص ٣١ - ٣٤ بتصرف.

٥- المرجع نفسه ج ١ ص: ٣٥ وما بعدها .

٦- المرجع نفسه ج ١ ص: ٣٩ .

٧- واعتمدت على مرجعين: الموازنة بين الشعراء، زكي مبارك ص: ٧١ .
الصورة في الخطاب البلاغي والنقدي ،محمد الولي ص: ٢٢٣ .

٨- مصطلحات الشعراء الجاهلين والاسلاميين : ٧١

٩- موقع القبيلة على شبكة الانترنت.

١٠- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ناصر الدين الاسد

ص: ٥٦١

١١- النقد الادبي عند العرب: أمجد طرابلسيتر: ادرسي بلمليح ص: ٤٠ .

١٢- على حد تعبير الجمحي في طبقاته ص وعده في الطبقة الثالثة من
فحول الجاهلية الى جانب النابغة الجعدي ولبيد العامري والشماع بن
ضرار..

١٣- حسب الموقع وصلت عدد المؤلفات عن شعر و لغة القبيلة ثلاثون
مؤلفا.

١٤- المصايد والمطارد، أبو الفتح كشاجم ص: ٦٦

١٥- ديوانه ص: ٧٢ من قصيدة مطلعها: ودع الراكب والتوديع تعذير وما
وداعك من قفت به العير.

١٦- ديوانه ص: ٢٣٨ والمطلع: كبيشة حلت بعد عهدك عاقلا وكانت له
خبلا على النأي خابلا.. والفادر هو الوعل و يقصد به الثور أنظر
الحاشية .

١٧- نقلا عن الصورة في الشعر العربي علي البطل ص: ١٤٢ .

١٨- ديوانه ص: ١٩ من مطلع قصيدته الذائعة الصيت: طحا بك قلب في

الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب.

١٩- ديوانه ص: ١٣٢

٢٠- ديوانه ص: ٧٦ و المطلع: ألم تلم على الدمن الخوالي لسلمى
بالمذانب فالقفال.

٢١- ديوانه ص: ٣٨

٢٢- نقلا عن الصورة في الشعر العربي ص: ١٢٥ .

٢٣- ديوانه ص: ٢ والمطلع: حلت تماضر بعدنا رببا فالغمر فالمرين
فالشعبا

٢٤- الرجاء الرجوع الى دواوين بشر: ٩٣، ٩٧، ١١٦، ٥١، ٨٢، ٥٥

١٠١، ١٢٠، ٢٠٤، ٢٣٢، النابغة: ٢٣٦، ٩، ٢٥٢، لبيد: ٢١٦،

٢٥- وأحل الهذليون انفسهم من هذا الربط الملزم كما سنرى .

٢٦- شرح السكري ج ٢ ص ٤٩٨، ديوان الهذليين ج ٢ ص ١٧٥ .

٢٧- المصدر نفسه ج ١ ص ٦٣، الديوان ج ١ ص ١٢٧ .

٢٨- المصدر نفسه ج ٢ ص ٥٠٠، الديوان ج ٢ ص ١٧٦ .

٢٩- المصدر نفسه ج ٢ ص ٦٠٧، الديوان ج ٣ ص ٧٥ .

٣٠- عن الصورة في الشعر العربي ص: ١٢٥ .

٣١- ديوانه ص: ٥٧ .

٣٢- سبق ان ذكرت هذه الشواهد لذا اقتصر على الشطور التي تهم
العرض.

٣٣- شرح السكري ج ١ ص ٢٦، الديوان ج ١ ص ١٠ .

٣٤- المصدر نفسه ج ١ ص ٦٠، الديوان ج ١ ص ١٢٦ .

٣٥- المصدر نفسه ج ٢ ص ٥٠٠، الديوان ج ٢ ص ١٧٦ ..وقد اخطأ

- صاحب الديوان اذ جعل لفظة "الكناس" كلها في الشطر الأول.
- ٣٦- المصدر نفسه ج ٢ ص ٦١٢ ،الديوان ج ٣ ص ٩٩ ،والشطر الثاني في الديوان: لها نفس اذا سامت نشيج.
- ٣٧- نقلا عن الصورة في الشعر العربي ص: ١١٥ .
- ٣٨- ديوانه والمطلع: ٦٧ والمطلع: تنكر بعدي من أميمة طائف فبرك فأعلى تولب فالمخالف
- ٣٩- نقلا عن السمات الأسطورية ص:
- ٤٠- ديوانه ص:
- ٤١- عن ديوان علقمة الفحل ص: ١٦ ،حيث تنافس الشاعران وحكمت زوج امرئ القيس.
- ٤٢- جمهرة أشعار العرب أبو زيد القرشي ص: ١٥٤ .
- ٤٣- ديوانه ص: ٢٣٥ والمطلع مذكور من قبل.
- ٤٤- شرح السكري ج ٢ ص ٥١٢ ،ديوان الهذليين ج ٢ ص ١٨٢ .
- ٤٥- المصدر نفس ج ٢ ص ٥١٦ ،ولا توجد هذه القصيدة في ديوان الهذليين.
- ٤٦- المصدر نفسه ج ٣ ص ١٢٩٢ .
- ٤٧- علي البطل، ص: ١٣٨- ١٣٩ بتصرف .
- ٤٨- ديوانه ص: ٦٩ .
- ٤٩- نقلا عن علي البطل ص: ١٣٩ .
- ٥٠- شرح السكري ج ٣ ص ١١٩١ ،الديوان ج ٢ ص: ١١٩ .
- ٥١- المصدر نفسه ج ١ ص: ٦ الديوان ج ١ ص: ٦ ،وتذكر لفظة "النظم" في الديوان عوض "النجم" وكلاهما يعنيان الجوزاء.

- ٥٢- المصدر نفسه ج ٢ ص: ٥٠٠ الديوان ج ٢ ص: ١٧٧، مع تغيير
طفيف بينهما لا يمس المعنى العام.
- ٥٣- المصدر نفسه ج ١ ص: ٥٧ الديوان ج ١ ص: ١٢٥ .
- ٥٤- المصدر نفسه ج ١ ص: ٢٨٩ الديوان ج ٢ ص: ٦٤.
- ٥٥- المصدر نفسه ج ٣ ص: ١١٩١، الديوان ج ٢ ص: ١١٨ .
- ٥٦- نقلا عن علي البطل ص: ١٣٩ .
- ٥٧- نقلا عن السمات الأسطورية ص: ٢٥٤.
- ٥٨- حياة الحيوان الكبرى الإمام كمال الدين الدميري ج ١ ص: ٣١٠.
- ٥٩- عن علي البطل، ص: ١٣٩.
- ٦٠- ديوانه ص: ١٦٣.
- ٦١- ديوان ص: ٦٧.
- ٦٢- شرح السكري ج ٣ ص: ١١٩٠، الديوان ج ٢ ص: ١١٧، ويمكن الرجوع
الى السكري صفحات: ١٢٩٢، ١١٩٠، ٥٠١.
- ٦٣- القرآن الكريم سورة الجاثية الآية: ٢٤
- ٦٤- المصدر نفسه سورة الأنعام الآية: ٦١
- ٦٥- المصدر تفسير سورة ابراهيم الآية: ١٧
- ٦٦- باستثناء قول علقمة الفحل: تعفّق بالأرطى..، وقول المتلمس
الضبي: يجول بذى الأرطى..
- ٦٧- شرح السكري ج ١ ص: ٢٦ .
- ٦٨- شرح السكري ج ٣ ص: ١١٩٠ الديوان ج ٢ ص: ١١٧ وفيه "تباري"
عوضا عن "تجاري".
- ٦٩- المصدر نفسه ج ٣ ص: ١٢٩٦ الديوان ج ٢ ص: ٢٠٢.

٧٠- المصدر نفس ج ١ ص: ٢٦ الديوان ج ١ ص: ١٠ الجمهرة ص: ١٣١.

٧١- المصدر نفسه ج ١ ص: ٦٠ الديوان ج ١ ص: ١٢٦.

٧٢- المصدر نفسه ج ٢ ص: ٥٩٩ الديوان ج ٣ ص: ٧٤

٧٣- المصدر نفسه ج ٣ ص: ١١٩٥ الديوان ج ١ ص: ٢٤٢.

٧٤- للأمانة أخذت هذا الاكتشاف من محمد بريري في كتابه "الأسلوبية والتقاليد الشعرية"، وناوشت المتن الهذلي لأتحقق من صحته فكان ان كان.

٧٥- علي البطل ص ١٣٨ يقول: "الحمار دوما مع حلائله من الأتن"

ومحمد كنون ص ٢٥١ "يبدو الحمار وسط أتنه وحلائله"

٧٦- شرح السكري ج ٣ ص: ١٢٥٣ الديوان ج ٢ ص: ١٦٣

٧٧- المصدر نفسه ج ١ ص: ٢٨٣ الديوان ج ٢ ص: ٦٣، ٦٤.

٧٨- المصدر نفسه ج ١ ص: ٣٢ الديوان ج ١ ص: ١٥ الجمهرة

ص: ١٣٢، وهذان الأخيران يذكران لفظة "أبرع" عوض "أضلع".

٧٩- المصدر نفسه ج ٢ ص ٦٠٣ الديوان ج ٣ ص: ٧٥.

٨٠- المصدر نفسه ج ٢ ص: ٦١٦ الديوان ج ٣ ص: ١٠٣.. وفي رواية:

وخر..

٨١- المصدر نفسه ج ٣ ص: ١١٣٢ الديوان ج ١ ص: ٢٠٠.

٨٢- نقلا عن السمات الأسطورية ص: ٢٤٧.

٨٣- منهم علي بعروب ص: ١٢٢-١٢٤ البطل ص: ١٣٣-١٣٤ وأتوا

بنماذج لزهير، لبید، الأعشى...

٨٤- بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين محمد خليل خلايلة ص: ١٢.

٨٥- بدليل أن الإمام الشافعي كان يحفظ ١٠ الاف بيت، في حين وصلتنا

ثلاثة الاف بيت في أطول الروايات.

٨٦- التفسير الرمزي: الشاعر الهذلي كان همه إبراز سطوة الدهر، لذا كان انتفاء ذكر قصة الفرقد -الذي هو رمز لاستمرارية النوع- إشارة الى أن المهابة لم يسعفها الدهر حتى لوضع ولدها، فقد صرعت قبل ذلك، إبقاؤها على قيد الحياة فهو احياء بمغالبتها للدهر والشاعر الهذلي أراد أن يظهر فعل المحو الذي يمارسه الدهر على جميع الكائنات فتلقى حتوفها.

٨٧-التفسير الأسطوري :أن هذيلاً لم تجعل الزهرة الذي عبد باسم العزى رباً لها والذي كانت تقدم إليه القرابين من الأطفال وتحكي الأسطورة عن مصرع الطفل/الإله في الزمن الأول فإذا ربطنا بين الفرقد/الطفل الحيواني والقربان/الطفل البشري نرى قصة هذا الكائن إنما هي حكاية أسطورية الفداء ليرجع الإله/الطفل من عالم الموت.. ووأد البنين والبنات في الجاهلية يدخل ضمن هذا الطقس، ولا يمكن أن يصح اجتهاد هذه الفرضية، إلا اذا ثبت وثيقاً ان هذيلاً لم تكن تند أطفالها ،فيتواشج عدم التضحية بالفرقد بعدم التضحية بالأطفال بوصفهما قربانين للإله الطفل .

٨٨- شرح السكري ج٣ص: ١٠٩١ الديوان ج٢ص: ١١٣ .

٨٩- المصدر نفسه ج٢ص: ٥٠٥ الديوان ج٢ص: ١٨٤ .

٩٠- المصدر نفسه ج٢ص: ٦٠١ الديوان ج٣ص: ٧٥..للمزيد في هذا

الرجاء الرجوع الى السكري

ج١ص: ١٥، ٢٨، ٥٦، ٦٢ ج٢ص: ٢٩٦، ٦١٣ ج٣ص:

١١٣٢، ١٢٩٤، ١٣٠٢ .

٩١- الصورة والبناء في المراثي الجاهلية، سعدي الأيوبي

ص: ٣٤١، ويتحدث الباحث هنا عن شعر الهذليين.

٩٢- للبدء في هذا الموضوع الشيق الرجاء الرجوع مثلا الى: هذيل في

جاهليتها وإسلامها ص ١٣٨-١٤٠:، الشعر الجاهلي قضاياها الفنية

والموضوعية: ابراهيم عبد الرحمن، العمق الفكري في الشعر الجاهلي:

علي بعروب، الخطاب الشعري الجاهلي :حسن مسكين، الصورة في

الشعر العربي: علي البطل، السمات الأسطورية :محمد كنون، المنهج

الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي: محمد عبد الفتاح أحمد،

الأسطورة: يونس الوليدي...